إعجاز .. سياحة في كتاب الله تكشف نفيس محتوياته وثمين مكنوناته

منهج الإعجاز العلمي يثبت سبق القرآن الكريم في كشف حقائق علمية توصل إليها العلماء في العصر الحديث

«69» آية في «39» سورة من سور القرآن الكريم تكشف إعجاز الله في الكون

د. صبري الدمرداش

صدر حديثاً كتاب بعنوان (إعجاز: سياحة في كتاب الله تكشف نفيس محتوياته وثمين مكنوناته) تأليف أ. د. صبري الدمرداش الذي كان – رحمه الله – يعمل أستاذا بكلية التربية جامعة الكويت. عن مكتبة المنار بالكويت. يقع الكتاب في أكثر من (800) ثمانمائة صفحة من القطاع المتوسط مقاس (24.5×17 سم) ويضم بين دفتيه (تقديم) للمؤلف وشرح وبيان لمعنى آيات من سور القرآن الكريم من منظور علمي. وقد تضمن الكتاب (69) آية من آيات القرآن الكريم اعتمد المؤلف في شرحها وتجلية معانيها [العلمية] سبع خطوات بدأها بذكر الآية، ثم بيان مفرداتها (أي معناها اللغوي) وبين يدي السُّورة، والمعنى العام [الآية] والتفسير العلمي لها، وحقائق علمية ترتبط بذلك الشرح للآية الكريمة، وأخيرا وجه الإعجاز في الآيات الكريمة التي أوردها المؤلف على امتداد صفحات كتابه.

التقديم

في تقديم د. صبري الدمرداش لكتابه هذا يوضح أن القرآن الكريم عُنى بدعوة الناس أجمعين إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، كما حث الإنسان – أينما كان في الزمان والمكان – على النظر في الكون، ليقف على نواميسه ويدرك نظامه ويتأمل إبداعاته. ويضيف قوله: والذين يأخذون بالاتجاه نحو تفسير آيات الله الكونية بالربط بين العلم والدين يتلخص منهجهم في جملة أمور أهمها ما يلي:

• أن القرآن الكريم آياته مطلقة لا يعلم مكنونها إلاّ الله سبحانه وتعالى، وأن العلم – في عمومه – نتاج بشري وما يصل إليه من استنتاج هو نتاج بشري نسبي، بمعنى أنه قد لا يصل إلى الحقيقة المطلقة لما يتسم به اجتهاد البشر من قصور وعدم إحاطة كاملة في أمر من الأمور في هذا الكون الذي "لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء".

• أن قوانين الطبيعة [أدلة مادية تجسد قدرة الله] في الكون وتكشف عظمة القرآن المنزّل من عند الله على رسوله] ومن ثم فلا تعارض بينها وبين آيات القرآن الكريم. وان تلك الآيات هي مناط الحكم على هذه القوانين وليس العكس.

• أن التفسير [المقبول شرعا] إنما يكون بحقائق العلم الثابتة والراسخة [القطيعة الدلالة والثبوت] وليس بنظريات [العلم] الموقوتة أو المتغيّرة.

• الاجتهاد في إثبات موافقة الحقائق العلمية للآيات الكونية، وعدم لي أعناقها أو التعسف في تفسيرها لتوافق الحقائق العلمية.

• مراعاة القاعدة الشرعية (الفقهية) التي تقضي بأن "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".

• عدم الخوض في الغيب والتسليم بالآيات القرآنية الواردة فيه تسليماً مطلقاً، كالذات الإلهية، والجن، والملائكة، وحياة البرزخ، والساعة وموعدها، والبحث، والحساب، والصراط، والميزان، والجنة والنار، وغير ذلك.

• الالتفات إلى تعدد معاني اللفظ الواحد لغوياً الوارد في تلك الآيات القرآنية.

• مراعاة احتمال تعدد [الدلالات] أو المعاني العلمية للآية الواحدة في كتاب الله.

• مراعاة فهم أسباب التنزول.. وفهم الفرق بين العام والخاص والمطلق والمقيّد والمجمل والمفصّل من آيي الذكر الحكيم.

• عدم تعارض التفسير [العلمي] مع نص قرآني آخر.

• مراعاة عدم العدول عن الحقيقة إلى المجاز في فهم الألفاظ إلا إذا كانت هناك قرينة في السياق تدل على ذلك.

من آيات الإعجاز

عرض د. صبري الدمرداش في هذا الصدد لثلاث وخمسين آية من آيات القرآن الكريم شملت السور القرآنية: مريم، العلق، الرحمن، النبأ، المائدة، النمل، البقرة، الأعراف، الصافات، العنكبوت، الحج، الغاشية، النحل، الواقعة، الحديد، الزمر، النور، الروم، النازعات، الأنبياء، القيامة، النساء، يس، الطارق، الإسراء، التكوير، الزخرف، البلد، الزلزلة، سبأ، الذاريات، الأنعام، طه، الملك، لقمان، الجمعة، القمر، وفصلت، والطارق/11، 12/، الإسراء/12، 36/، التكوير/1، 2، 3/ . الزخرف/33/، الزلزلة/1/، سبأ/3/، الذاريات/21، 49/، الأنعام/99، 125/، البلد/8، 9/، طه/50/، الجمعة/8/، وفصلت، 9، 10، 11، 10/. بما مجموعه (39) تسعة وثلاثون سورة من سور القرآن الكريم البالغ عددها (214) سورة. أما عدد الآيات القرآنية التي عرض لها المؤلف بكتابه هذا، فبلغت (69) تسعة وستون آية من آيات القرآن الكريم البالغ عددها (6236) آية.

الإعجاز الإلهي

نماذج من التفسير العلمي

كثيرة هي نماذج الإعجاز الإلهي في القرآن الكريم في المجال العلمي / الكوني / التي أوردها المؤلف في كتابه الذي بين أيدينا، ونقتطف بعضاً منها، حيث سياحة أو بالأحرى نظر المؤلف وتدبره في تلك الآيات القرآنية التي تكشف للقارئ والمتدبر معاً نفيس محتوياتها وثمين مكنوناتها المعجزة للبشر على الإطلاق والمثبتة في نفس الوقت قدرة الله وهيمنته على الوجود كله ظاهره وباطنه، حيوانه وجماداته، إذ الكل يسبح بحمده (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) الإسراء/44، ومن أمثلة ذلك ما أورده د. صبري الدمرداش في قول الله في سورة العلق (كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ × نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) آيتا/15، 16. حيث أوضح أن ناصية الإنسان هي " مركز اتخاذ القرار عنده، ومركز القيادة والتوجيه لديه، وكل هذا لم يكن معلوما لدى علماء الطب قبل عام 1842م، مع أن القرآن الكريم أشار إليه قبل أكثر من 1400 عام وكان الأطباء قبل ذلك التاريخ يرون الناصية منطقة مصمته لا وظيفة لها"!! (ص 43 من الكتاب)

منهج الإعجاز العلمي يثبت سبق القرآن الكريم

ونوجد هذه "الناصية" في الفص الجبهي الأمامي في مُخ الإنسان والحيوان.

بيت العنكبوت

يعرض المؤلف مثلاً أو نموذجاً ثانياً من نماذج الإعجاز الإلهي في الآية/(41) من سورة العنكبوت (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)، والعنكبوت – كما يقول المؤلف – ليس بحشرة، وإنما هو أفراد عائلة العنكبوتيات التي تضم العناكب والعقارب والفراش والقراد.

ويشير د. صبري الدمرداش إلى أنه في الآية الكريمة لفتة علمية دقيقة وهي أن العلماء توصلوا في القرن العشرين إلى أن أنثى العنكبوت هي التي تبني البيت وهي التي تدير شئونه. أما الذكر "العنكب" فهو صغير الحجم جداً ولا يقيم في البيت ولا علاقة له به إلا في وقت معلوم، لذا جاء الكلام في الآية الكريمة عن أنثى العنكبوت التي تملك أمور البيت كلها، وفي هذا إعجاز علمي (ص 195 من الكتاب).

والشيء المدهش حقاً ما يذكره المؤلف عن "خيوط بيت العنكبوت" فهي خيوط حريرية دقيقة جداً سمك الواحد منها جزء من المليون جزء من البوصة المربعة أو جزء من أربعة آلاف جزء من سُمك شعرة رأس الإنسان. ورغم دقتها هذه فهي أقوى خمس مرات من نظائرها من الصلب، بل إن الخيط من حرير عنكبوت معين، عنكبوت نيفيلا (Nephila) أقوى ثلاث مرات من مثيله المصنوع من المادة المعروفة باسم كيفلار (Keflar) والمفاجأة أن هذه الخيوط هي التي تُصنع منها القمصان الواقية من الرصاص التي يلبسها رؤساء الدول ومن هم في أهميتهم. لذا فإن خيط العنكبوت يعتبر واحداً من أقوى المواد الموجودة على سطح الأرض لأنه يتحمل شداً يصل إلى (42.000 كجم/سم2) مما يكسبه قوة هائلة للمط (Stretching) وقدرة على الإيقاع بالكثير من الحشرات دون تمزق (ص 199 من الكتاب).

من هذا العرض الموجز لبعض ما تضمنه كتاب (إعجاز) للدكتور صبري الدمرداش، يظهر للقارئ الكريم أهمية الأخذ بمنهج

خيوط العنكبوت .. تُصنّع منها القمصان الواقية من الرصاص لرؤساء الدول!!

الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في تحقيق جملة أهداف أوردها المؤلف، منها:

–1 إدراك وجود جديدة للإعجاز القرني، فقد يدرك أهل عصر معين ما لا يدركه غيرهم، فالقرآن الكريم معجزة خالدة متجددة، [لا تنقضي عجائبه كما ورد في الحديث الشريف] على نحو ما ذكره الإمام ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في كتابه "زاد المعاد في هدي خير العباد".

–2 بيان السبق في إشارة آيات القرآن الكريم الكونية لكثير من الحقائق العلمية التي ثبتت في العصر الحديث.

–3 استمالة غير المسلمين إلى الإسلام لمخاطبتهم بلغة العلم التي قد لا يفهمون غيرها. فقد عنى كثير من هؤلاء بدراسة القرآن الكريم دراسة متعمقة من مختلف الوجوه فانتهت ببعضهم إلى الإيمان بالله والدخول في الإسلام.

وبعد: فكتاب الدكتور صبري الدمرداش الذي بين أيدينا يعد جهداً علمياً (إيمانياً) يحسب لمؤلفه – رحمه الله – ويشكل إضافة إلى المكتبة العربية والإسلامية، ويجدر بالقارئ الاطلاع عليه والاستفادة منه، عملاً بقوله تعالى: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا).

تأليف
الدكتور صبري الدمرداش
عرض وتحليل
السيد المخزنجي
كاتب وباحث إسلامي من مصر
eelmakhzangi@yahoo.com

ملامح

نص للشاعر محمد جيب

محمد جيب

لو لم تكن ملامحي – فوضوية – لأدركت معنى الغناء
في الغابة التي تنام على طرف السرير وقطعت الطريق
على رأب يتسع داله و يطعم قصائد النايات للكوخ!

ثق في عصفور أسود يحلق لأسفل بجناحين من هوس
الالتحام يتحسس الشقوق التي تملئ مسام العطش على
مهل و بسط الحادي فرشاة مبللة من نهر ميت
ينسخ عنوانا صلبا في الفهارس ويقاتل بذراعين مبتورين
من قش ويصرخ بالحرائق يهذ برأس ثلجية ويقامر
بالشهادة ويسال كيف تدخر طاقة نظيفة هرمت، و تري
وجهك في المرآة مفخخا؟!
الأيماض الأول : الجوعي الذين يعلقون فراخ التفاصيل
على قسمات الشجر البعيد والثمرة في يد الله جافة
بالقياس

الشجر الذي انتقلت له عدوي من وجوه فوضوية
مثلك وكأنه مران السخاء الذي اختزلته –وطاويط
العزلة عن العالم وانتعل المغادر بقدم عملاقة – لايزيس
الأم والأب معا!

الفارق – اختراق – دورة الزهور المتأهبة
وتلطيخ – حمرة شفرات العشب بالرمادي !

تعامد للمرايا في الشوارع وثورة البطريق لقبلة
من فم النهر للشاطئ والتراجيل تغلي بالماء على
الفراغ والجمر يعتنق ديانات الثلج!
كلمة مدببة بهائش من أسقف الخبث تعوي !
ويرتد الدوران في تقليب فنجان دم أسود تشرب
ونقول : لو ان العالم غادر برفق رجرجة
الجدران والقوس أمرتخيا في يد السجان ولكن
حصاده القنص!
محو متدفق لآلة القنوط لغامق مكلوما بين
الشجرين لشدو اليمام يكنس المخابئ من الأقمار
ويستحم شحاذ يكبر في الإتيان مع برتقال الشمس
وكلما شدت النهار شعرة من ندي يابس يرتعش
الزناد ويعود للإثم مجددا !

الشاعر محمد جيب
باحث أكاديمي في علوم المسرح
ماجستير دكتوراه

هلوسات منتصف الليل

الأرق قاتل متسلسل يختار ضحاياه بعناية فائقة بناء على نمط محدد عالي الدقة وذلك في أغلب الأوقات، ولكن ما يجعل محاولة الفرار منه أو التغلب عليه ولو من الجولة العاشرة مستحيلا ، أنه يغير هذا النمط من حين لآخر بطريقة مفاجئة ، كما أنه كثيراً ما يختار ضحاياه عشوائيا.

ولذا من الحكمة ألا تدخل في معركة خاسرة معه فلا أحد ينتصر أبدا على الرغبة في العطس أو على الأرق، فنحن لا نختار النوم بل هو من يختارنا ليقذف بنا طواعية إلى بئر سري سحيق غاية في العمق.

النوم من الأمور التي تحتاج إلى طقوس خاصة ، وكلنا نمتلك بطريقة أو بأخرى تلك الطقوس التي نعتبرها الخطوة ما قبل الأخيرة قبل الوقوف على عتبة البوابة الفاصلة بين عالم الحقيقة وعالم الأحلام .. فعلى تلك البوابة تختم جواز سفرك وتترك جميع حقائبك وتستعد لتحلق بخفة بين السماء والأرض.

هناك من لا يمكنه النوم إلا في ظلام دامس وصمت تام . وهناك من لا يُشكل له هذا الأمر أي فرق، وهناك من يمتلك زرا خفيا بمجرد ضغطة خفيفة عليه يُطفئ جهاز الوعي بداخله وينام مهما كانت الظروف المحيطة به . وهناك من يُشكل له التعامل مع النوم كجولة ملاكمة مع محمد علي كلاي ، وهناك من يمثل له النوم كلقاء مع فتاة جميلة يحبها ، وهناك من يعتبره عقاب بالسجن والجلد.

برغم أن الإنسان يقضي حوالي ثلث حياته نائما، إلا أن الأكثرية لا يعرفون الكثير عن النوم، وهناك اعتقاد سائد بأن النوم عبارة عن خمول تام في وظائف الجسم الجسدية والعقلية يحتاجه الإنسان لتجديد نشاطه ، إلا أن الواقع المثبت علمياً خلاف ذلك تماماً ، حيث إنه يحدث خلال النوم العديد من الأنشطة المعقدة على مستوى المخ والجسم بصفة عامة ، وليس كما يعتقد البعض بل على العكس، فإن بعض الوظائف تكون أنشط بكثير خلال النوم ، كما أن بعض الأمراض تحدث خلال النوم فقط وتختفي مع استيقاظ المريض.

ويتفاوت عدد ساعات النوم التي يحتاجها الإنسان الطبيعي تفاوتاً كبيراً من شخص إلى آخر، ولكن المؤكد أن عدد الساعات التي يحتاجها نفس الشخص تكون ثابتة دائما، فبالرغم من أن الإنسان قد ينام في إحدى الليالي أكثر من ليلة أخرى إلا أن عدد الساعات التي ينامها الشخص خلال أسبوع أو شهر تكون عادة ثابتة.

ويعتقد الكثيرون أن عدد ساعات النوم اللازمة يومياً هو ثماني ساعات ، وهذا الرقم هو متوسط عدد الساعات لدى أغلب الناس، ولكنه لا يعني بالضرورة أن كل إنسان يحتاج ذلك العدد.

النقطة المهمة جدا التي يغفل عنها عدد لا يُحصى من الناس وخاصة الشباب خلال العطلات الطويلة هي التوقيت المثالي للنوم، فهؤلاء الذين يغيرون عقارب ساعتهم البيولوجية التي خلقها الله فيحولون ليلهم إلى نهار ونهارهم إلى ليل يواجهون الكثير من المتاعب الصحية التي تبدأ في مهاجمة أجهزة جسدهم الحيوية بشراسة، فظاهرة السهر طول الليل المتفشية بين غالبية الشباب ثم النوم في الصباح وحتى قبيل الغروب ، تلك الظاهرة تجعل الجسد يقوم بوظائف لم يخلق لها كمن يحاول أن يُبحر بسيارة عبر أحد البحر إلى الشاطيء الآخر، فلا بد أن ينتهي الأمر بالغرق مهما حاولنا العكس.

ومن وجهة نظري الشخصية أظن بأن الكثير من المشاكل التي يواجهها الشباب في مجتمعاتنا ترجع إلى تلك الظاهرة ، التي بدأت تنتشر بطريقة غريبة خلال العقدين الأخيرين من الزمن.

« وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا »

د.شريف صبري
sherif.sabry2222@gmail.com